١

التفسير على القياس عند السلف، ونماذجه

أ.م.د. إسراء كريم عبد الله
كلية التربية للبنات ـ الجامعة العراقية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي-الجامعة العراقية
كلية التربية للبنات

الملخص

الهدف من بحثي هذا بيان شمولية القرآن لكل العصور، وقدرته على معالجة مشاكل المسلمين، وقد قسمت هذا البحث الى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: تناولت فيه التعريف بمصطلح – التفسير على القياس – لغة واصطلاحا.

أما المبحث الثاني: فتناولت فيه أقسام التفسير على القياس.

وأما المبحث الثالث: فتناولت فيه ضوابط الاستشهاد.

وأما المبحث الرابع: فتناولت التفسير بالمثل والفرق بينهما.

وأما الخاتمة جاءت بأهم النتائج التي توصلت اليها وهي:

١– قضية تنزيل الآيات على الواقع لم تكن معروفة في عصر الرسول (ﷺ)، وإنما استجدت بعد ذلك، أما الاستشهاد كان معروف بين الصحابة.

٢– هناك فرق بين القياس الاصولي، والقياس، والقياس عند المفسرين، فالأول لا بد من ان تتوفر فيه الاركان الاربعة المقيس، والمقيس عليه، والحكم، والعلة وهذا لا يتوفر في المصطلح الثاني.

٣– هناك تشابه بين تنزيل الآيات وبين المثل القرآني، لكن يوجد فرق بين الاثنين إذ يتطلب من الأول معرفة سبب نزول الآية ظروفها أما في المثل القرآني لا نحتاج الى ذلك إذ نطلق الامثال بدون الحاجة لذلك كما في قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[1]

٤– هذا النوع يدرج ضمن انواع التفاسير التي لها دور كبير في معالجة القضايا والمشكلات المعاصرة.

٥– المفسرون متفاوتون في هذا اللون والسبب يعود في ذلك منهج الذي تمسكه به المفسر، او الظروف السياسية التي تمنعه من ذلك.

٦– هذا النوع يحتاج الى بحث وعناية في كثير من جوانبه.

٧– أما تنزيل الآيات في غير موضعها وخصوصاً عند المزاح بين شبابنا فهذا غير جائز طبعا، أما اذا كان تنزيل الآية للوعظ والارشاد مثل الحث على الانصات الى القرآن، او التكثير من عمل الخير فحكمه جائز.

(١) سورة الروم: الآية ٤١.

Abstract

In the name of God, the Most Gracious, the Most Merciful, and praise be to God, and may blessings and peace be upon our Prophet Muhammad and his family and companions as a whole.

And after:

Many people read the Qur'an and separate it from their reality and their deeds, then recite the Book of God Almighty for the sake of blessing and forsake it, and stand at its permissible and forbidden, and this is what prompted me to choose the title, the aim of it is to explain the universality of the Qur'an for all ages, and its ability to address the problems of Muslims, and I have divided this Search for an introduction, four sections and a conclusion.

The first topic: I dealt with the definition of the term - interpretation on analogy - language and convention.

As for the second topic: I dealt with sections of interpretation on measurement.

As for the third topic: I dealt with the controls of martyrdom.

As for the fourth topic: I dealt with similar interpretation and the difference between them.

As for the conclusion, it came with the most important results that it reached, which are:

1- The issue of relegating verses to reality was not known in the era of the Messenger (peace and blessings of God be upon him), but it was new after that, and martyrdom was known among the Companions.

2- There is a difference between the original qiyas, qiyas, and qiyas according to the commentators. The first one must have in it the four pillars that are measured, measured, and the judgment, and this is not available in the second term.

3- There is a similarity between downloading verses and the Qur'an proverb, but there is a difference between the two, as it is required from the first to know the reason for the revelation of the verse and its circumstances. In the Qur'anic proverb, we do not need that as we give proverbs without the need for that.

4- This type is included among the types of interpretations that have a major role in addressing contemporary issues and problems.

5- The commentators differ in this color, and the reason for that is the approach that the interpreter adheres to, or the political circumstances that prevent him from doing so.

6- This species needs research and care in many of its aspects.

7 - As for downloading the verses out of place, especially when joking among our youth, this is not permissible of course, but if downloading the verse for exhortation and guidance is like urging people to listen to the Qur'an, or a lot of good deeds, then its ruling is permissible.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد الله رب العالمين، إياه نعبد وإياه نستعين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين، المنزل عليه القرآن فيه شفاء وهدى ورحمة للعالمين.

وأما بعد:

فإن كثيرا من الناس يقرأ القرآن ويفصلونه عن واقعهم واعمالهم، فيتلون كتاب الله عز وجل من أجل البركة ويهجرون العمل به، والوقوف عند حلاله وحرامه، وهذا ما دفعني لاختيار العنوان، فالهدف منه بيان شمولية القرآن لكل العصور وإنه قادر على معالجة مشاكل المسلمين، وقد قسمت هذا البحث الى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة

فالمبحث الأول: تناولت فيه التعريف بمصطلح «التفسير على القياس» لغة واصطلاحا.

أما المبحث الثاني: فتناولت فيه أقسام التفسير على القياس.

أما المبحث الثالث: فتناولت فيه ضوابط الاستشهاد.

أما المحث الرابع: فتناولت التفسير بالمثل والفرق بينهما.

وأما الخاتمة جاءت بأهم النتائج التي توصلت اليها.

أسأل الله أن يوفقنا لما يحب ويرضاه، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.

المبحث الأول: التعريف بمصطلح • التفسير على القياس •

تعريف القياس لغةً:

القياس: هو تقدير الشيء بالشيء والمقياس: المقدار فتقول: قايست الامرين مقايسة، وقياساً، وجمع القوس على القياس [1].

تعريف القياس اصطلاحاً:

من خلال اطلاعي على المصادر والبحوث في هذا المجال فإن أول من أشار الى هذا المصطلح في الوقت المعاصر هو الدكتور مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار[2] فقد عرفهُ قائلاً: «هو الحاق معنى باطن في الآية بظاهرها الذي يدل عليه اللفظ» [3] أما من المتقدمين من العلماء من نبه عليه فهو أبن القيم – رحمه الله – قائلاً: «وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول تفسير على اللفظ وهو الذي ينحو إليه المتأخرون، وتفسير على المعنى وهو الذي يذكرهُ السلف وتفسير على الإشارة والقياس وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم»[4] كما أشار الى ذلك شيخ

(١) ينظر مجمل اللغة: ١/ ٧٣٩

(٢) هو أبو عبد الملك مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار هو من اسرة الطيار في محافظة الزلفى في المملكة العربية السعودية ولد الشيخ في منطقة الزلفى التابعة المنطقة الرياض عام ١٩٦٥ م حاصل على شهادة الدكتوراه في تخصص علوم قرآن وتولى مناصب عديدة (ينظر: مساعد –الطيار (/https://ar.wikipedia.org/wiki

(٣) التفسير اللغوي للقرآن الكريم: ٦٥٢.

(٤) التبيان في أقسام القرآن: ٧٩.

الإسلام ابن تيمه – رحمه الله – على ذلك قائلاً: «فتلك الإشارات هي من باب الاعتبار والقياس ؛ والحاق ما ليس بمنصوص بالمنصوص مثل الاعتبار والقياس ؛ الذي يستعمله الفقهاء في الاحكام»[1].

وقال أيضاً: «وأما أرباب الإشارات الذين يثبتون ما دل اللفظ عليه ويجعلون المعنى المشار إليه مفهوماً من جهة القياس والاعتبار فحالهم كحال الفقهاء العاملين بالقياس» [2].

وقد يتوهم البعض بإن القياس عند المفسرون هو نفس القياس الذي يستخدمهُ الفقهاء والاصوليين.

لكن يوجد فرق بينهما وهذا ما سيتم توضيحه في هذا البحث أن شاء الله، ويفهم من كلام أبن تيمه وتلميذه ابن القيم بإن التفسير الاشاري «او التفسير الصوفي» هو ضرب من ضروب التفسير بالقياس فالذين يقولون بالتفسير الاشاري يعتبرون هذا هو القياس الجلي، او ما يسمى بالقياس الأولى وهو المعروف عند بعضهم بمفهوم الموافقة: «فهو ما يدل على أن الحكم في المسكوت عنه موافق للحكم في المنطوق به من جهة الأولى»[3] كما دل قولهِ تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [4]

على حرمة الضرب وليس المقصود به القياس الذي يحتاج الى اجتهاد واستنباط ومعرفة العلة وتحققها في الأصل والفرع، ولكنه مطلق القياس والتمثيل، الذي يفهم منه الشبه والتماثل وما يقرب من قياس الأولى [5].

المبحث الثاني: أقسام التفسير على القياس.

هذا المصطلح فيهِ جانبان متقاربان بعض الشيء:

الجانب الأول: الاستشهاد بجزء من الآية في غير ما وردت من أجله في الأصل

الجانب الثاني: تنزيل الآية على واقعة حادثة، وجعلُها مما يدخل في معنى الآية [6].

الجانب الأول: الاستشهاد بجزء من الآية في غير ما وردت من أجله في الأصل

١-ويمثل للجانب الأول بقولهِ تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ ۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾ [7]

حيث أن بعض الوعاظ يقومون برسم اللاقط الفضائي (الدش) ويضعون قولهِ تعالى أسفله باعتبار

(١) مجموعة الفتاوى: ٦/ ٣٧٧.
(٢) مجموعة الفتاوى: ٢/ ٢٨.
(٣) البرهان في أصول الفقه:١/ ١٦٦.
(٤) سورة الاسراء: ٢٣.
(٥) التفسير الاشاري ماهية وضوابطهُ: ١٤٠.
(٦) مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير: ٢٧٠.
(٧) سورة الحشر: الآية ٢.

ما فيها من المفاسد [1] فلو رجعنا الى مساق الآية لوجدناها تتحدث كما ذكر ذلك الواحدي قائلاً: «بَنِي النَّضِيرِ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ صَالَحَهُ بَنُو النَّضِيرِ عَلَى أَنْ لَا يُقَاتِلُوهُ وَلَا يُقَاتِلُوا مَعَهُ، وَقَبِلَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وذلك مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بَدْرًا وَظَهَرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَتْ بَنُو النَّضِيرِ: وَاللَّهِ إِنَّهُ النَّبِيُّ الَّذِي وَجَدْنَا نعته في التوراة لَا تُرَدُّ لَهُ رَايَةٌ، فَلَمَّا غَزَا أُحُدًا وَهُزِمَ الْمُسْلِمُونَ نَقَضُوا الْعَهْدَ وَأَظْهَرُوا الْعَدَاوَةَ لرسول الله - ﷺ - والمؤمنين، فَحَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - ثم صالحهم عن الْجَلَاءِ مِنَ الْمَدِينَةِ» [2] فهذا المثال يعتبر تفسير عصري لبعض العلماء.

٢- وكذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [3] ((عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ عُمَرَ رَأَى فِي يَدِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ دِرْهَمًا، فَقَالَ: «مَا هَذَا الدِّرْهَمُ؟» فَقَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَشْتَرِيَ لِأَهْلِي بِدِرْهَمٍ لَحْمًا. فَرَمَوْا إِلَيْهِ فَقَالَ عُمَرُ: « أَكُلُّ مَا اشْتَهَيْتُمُ اشْتَرَيْتُمُوهَا مَا يُرِيدُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَطْوِيَ بَطْنَهُ لِابْنِ عَمِّهِ، وَجَارِهِ أَنْ تَذْهَبَ عَنْكُمْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾.)) [4]

فلو رجعنا الى سياق الآية لوجدناهُ يتكلم عن المشهد. سريع حاسم، ولكنه يتضمن لفتة عميقة عريضة.

إنه مشهد العرض على النار، وفي مواجهتها وقبيل سوقهم إليها، يقال لهم عن سبب عرضهم عليها وسوقهم إليها: «أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِها».. فقد كانوا يملكون الطيبات إذن، ولكنهم استنفذوها في الحياة الدنيا، فلم يدخروا للآخرة منها شيئا واستمتعوا بها غير حاسبين فيها للآخرة حسابا، استمتعوا بها استمتاع الأنعام للحصول على اللذة بالمتاع، غير ناظرين فيها للآخرة، ولا شاكرين لله نعمته، ولا متورعين فيها عن فاحش أو حرام. ومن ثم كانت لهم دنيا ولم تكن لهم آخرة. واشتروا تلك اللمحة الخاطفة على الأرض بذلك الأمد الهائل الذي لا يعلم حدوده إلا الله! «فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذابَ الْهُونِ بِما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَبِما كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ» فنحن نلاحظ من سياق الآية بأنها للكافرين وليست للمؤمنين ومع ذلك اشتهر بها عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على المؤمنين أو بعبارةٌ ادق انزلها على حال المؤمنين [5].

❖ مسألة: وهذا الجانب يقودنا الى مسألةً مهمه وهي ما الفرق بين الاستشهاد والاستدلال؟

الاستشهاد بالآيات على الواقع: هو طلب نصٍ من القرآن يشهد الواقعة معينة، ويكون ذلك إذا لم يبن حكم شرعي كما في قولهِ تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ

(١) مقالات في علوم القران واصول التفسير: ٢٦٩.
(٢) أسباب النزول، للواحدي: ٤١٦.
(٣) سورة الاحقاف: الآية ٢٠.
(٤) المستدرك على الصحيحين: ٢/ ٤٩٤.
(٥) في ظلال القرآن: ٦/ ٣٢٦٤.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [1] فقد تزل هذه الآية المباركة على عصره او الواقع الذي يعيش به قائلاً: « يُنْكِرُ تَعَالَى عَلَى مَنْ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ اللَّهِ الْمُحْكَمِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ، النَّاهِي عَنْ كُلِّ شَرٍّ وَعَدَلَ إِلَى مَا سِوَاهُ مِنَ الْآرَاءِ وَالْأَهْوَاءِ وَالِاصْطِلَاحَاتِ الَّتِي وَضَعَهَا الرِّجَالُ بِلَا مُسْتَنَدٍ مِنْ شَرِيعَةِ اللَّهِ، كَمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَحْكُمُونَ بِهِ مِنَ الضَّلَالَاتِ وَالْجَهَالَاتِ مِمَّا يَضَعُونَهَا بِآرَائِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ، وَكَمَا يَحْكُمُ بِهِ التَّتَارُ مِنَ السِّيَاسَاتِ الْمَلَكِيَّةِ الْمَأْخُوذَةِ عَنْ مَلِكِهِمْ جِنْكِزْخَانَ الَّذِي وَضَعَ لَهُمُ الياسق، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ كِتَابٍ مَجْمُوعٍ مِنْ أَحْكَامٍ قد اقتبسها من شَرَائِعَ شَتَّى: مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ وَالْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وغيرها، وَفِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْأَحْكَامِ أَخَذَهَا مِنْ مُجَرَّدِ نظره وهواه، فصارت في بينه شرعا متبعا يقدمونه على الحكم بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ كَافِرٌ يَجِبُ قِتَالُهُ حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فَلَا يَحْكُمُ سِوَاهُ فِي قَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ » [2]

أما إذا بني عليه حكم شرعي فإنه يسمى استدلالاً، وهو طلب نصٍ من القرآن يدلُ على حكم ويمثل لهذا النوع في قولهِ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [3]

يستدل الفقهاء على حرمة العلميات التجميلة التي تقوم بها بعض النساء الغرض التجميل دون سبب[4] وعلى هذا فالاستشهاد أعمُّ من الاستدلال، فكل استدلالٍ يكون استشهاداً وليس العكس، وكلاهما داخل في دائرة التنزيل [5].

الجانب الثاني: تنزيل الآية على واقعة حادثة

ويمكن تعريفه: «هو مقابلة الأحداث المعاصرة للمفسرين بما يشبهها في كتاب الله تعالى ؛ سواء كانت المقابلةً تامةً أو جزئيةً أو مخالفة لما عليه الآية » [6].

أنواع تنزيل الآيات على الواقع:

ويمكن حصرها في اعتبارين

أولاً: باعتبار التصريح أو التلميح

أ-تنزيل التصريح:

هو أن يصرح المفسر أو حتى بعض خطباء المساجد بأن معنى الآية حاصلٌ في زمنهُ او واقعةٌ، فيستخدمون عبارات معينه مثل « وهذا ما يحصل اليوم « أو « هذا ما يحصل في مجتمعنا اليوم « أو « او هذا ما يحدث في وقتنا الحاضر « الى آخرهِ من العبارات ويمثل لهذا النوع قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ

(١) سورة المائدة: الآية ٥٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير):٣/ ١١٩.

(٣) سورة النساء: الآية ١٩.

(٤) ينظر فقه القضايا الطبية المعاصرة: ٥٣٩.

(٥) ينظر تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين - دراسة وتطبيق -: ٥٥.

(٦) المصدر السابق: ٣٣.

﴿فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [1]

فقد قال المراغي[2] عند تفسيرهُ للآية قائلاً: «وهذاما يفعله جماهير الناس فى المحافل التي يقرأ فيها القرآن كالمآتم وغيرها من ترك الاستماع والاشتغال بالأحاديث المختلفة- فمكروه كراهة شديدة ولا سيما لمن كانوا على مقربة من التالي، ولا يجوز لقارئ أن يقرأ على قوم لا يستمعون له، وإن كان أكثرهم يستمع وينصت فشذ بعضهم بمناجاة صاحبه بالجنب بلا تهويش على القارئ ولا على المستمعين كانت المخالفة سهلة لا تقتضى ترك القراءة ولا تنافى الاستماع» [3]

وكذلك قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [4]: فقد صرح الشيخ محمد رشيد رضا [5]: (عَنِ الْجَاهِلِينَ، وَهُمُ السُّفَهَاءُ، بِتَرْكِ مُعَاشَرَتِهِمْ وَعَدَمِ مُمَارَاتِهِمْ، وَلَا عِلَاجَ أَوْقَى لِأَذَاهُمْ مِنَ الْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ، وَشَرُّهُمْ فِي هَذَا الْعَصْرِ مُرْتَزِقَةُ صُحُفِ الْأَخْبَارِ الْمُنْتَشِرَةِ، فَإِنَّ سُفَهَاءَهَا هُمْ شَرٌّ مِنْ سُفَهَاءِ الشُّعَرَاءِ فِي الْعُصُورِ السَّابِقَةِ)[6].

ب-تنزيلٌ تلميح:

هو أن يشير المفسر إلى أن معنى الآية حاصلٌ في زمنه وواقعه دون أن يصرح بذلك بل يُورده على سبيل التعريض والتلميح، ولعل السبب يعود الى طبيعة الظروف السياسية التي يعيشها المفسر التي تمنعهُ من التصريح بهذا المعنى خوفاً من التنكيل والتهميش والايذاء [7] ويمثل لهذا النوع: ما روي عن مجاهد في قوله:»لا ينال عهدي الظالمين» قال» لا أجعل إماما ظالما يقتدى به « [8] ونقل تفسير ابن عباس (ﷺ) لها فقال ابن عباس:»قال لا ينال عهدي الظالمين» قال، ليس للظالمين عهد، وإن عاهدته فانقضه « [9]، فيمكن القول فسر مجاهد هذه الآية بهذا المعنى وأختار تفسيرابن عباس السبب رئيسي هو تولى السطلة هو الحجاج وهو معروفٌ بظلمه وقد ترجمه هذا القول الى بفعل بالثورة عليه وكذلك شارك في هذه الثورة سعيد بن جبير [10].

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٠٤.

(٢) أحمد بن مصطفى المراغي: مفسر مصري، من العلماء. تخرج بدار العلوم سنة ١٩٠٩ ثم كان مدرّس الشريعة الإسلامية بها. وولي نظارة بعض المدارس. وعين أستاذا للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم. وتوفي بالقاهرة. له كتب، منها (الحسبة في الإسلام – ط) رسالة، و (الوجيز في أصول الفقه – ط) مجلدان، و (تفسير المراغي – ط) ثمانية مجلدات، و (علوم البلاغة – ط) (ينظر الاعلام: ١/ ٢٥٨ ؛ معجم المؤلفين: ١٠ / ١٧).

(٣) تفسير المراغي: ٩/ ١٥٥.

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٩٩.

(٥) هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد بن محمد بن علي القلموني، بغدادي الأصل الحسيني، محدث، مفسر، مؤرخ، اديب سياسي ولد سنة ١٨٦٥م وتوفي سنة ١٩٣٥م(ينظر الاعلام:٢/ ١٢٦ ؛ ينظر معجم المؤلفين: ٩/ ٣١٠)

(٦) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): ٩/ ٤٤٨

(٧) ينظر تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين – دراسة وتطبيق -: ٧٢.

(٨) جامع البيان في تأويل القرآن: ٢/ ٢١.

(٩) المصدر السابق: ٢/ ٢٢.

(١٠) ينظر البداية والنهاية: ٣٩-٤٥.

وكذلك وهذا ما نلاحظه عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [1] وقدأختار مجاهد عبارةً تشير إلى هذا المعنى عند ما فسر كلمة المسرفين بأنها « السفاكين للدماء بغير حقها »[2].

ثانياً: من حيث الكلية والجزئية والمخالفة تماماً

أ- تنزيل كلي:

«هو أن يأتي المفسر بآيةٍ وفي الواقع ما يُطابق معناها تماماً»[3] ويمثل لهذا النوع قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [4] فهذه الآية المباركة قد قرأها الرسول (عليه الصلاة والسلام) عنده هجرته اذ كان كفارُ قريش يجتمعون عند بابه فخرج (عليه الصلاة والسلام) ولم يروه فقد جعل بينهُ وبينهم حجاب كما تروي كتب السيرة، وهذا مشابه لما حدث للقرطبي فقد نزلها في حادثةٌ قد حدثت له شخصياً قائلاً: «وَلَقَدِ اتَّفَقَ لِي بِبِلَادِنَا الْأَنْدَلُسِ بِحِصْنٍ مَنْثُورٍ مِنْ أَعْمَالِ قُرْطُبَةَ مِثْلُ هَذَا، وَذَلِكَ أَنِّي هَرَبْتُ أَمَامَ الْعَدُوِّ وَانْحَزْتُ إِلَى نَاحِيَةٍ عَنْهُ، فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِي فَارِسَانِ وَأَنَا فِي فَضَاءٍ مِنَ الْأَرْضِ قَاعِدٌ لَيْسَ يَسْتُرُنِي عَنْهُمَا شيء، وَأَنَا أَقْرَأُ أَوَّلَ سُورَةِ يس وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْقُرْآنِ، فَعَبَرَا عَلَيَّ ثُمَّ رَجَعَا مِنْ حَيْثُ جَاءَا وَأَحَدُهُمَا يَقُولُ لِلْآخَرِ: هَذَا دَيْبَلَةٌ، يَعْنُونَ شَيْطَانًا. وَأَعْمَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَبْصَارَهُمْ فَلَمْ يَرَوْنِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا عَلَى ذلك »[5].

ب- تنزيل جزئي:

« هو أن يأتي المفسر بآيةٍ وفي الواقع ما يُطابق جزءاً من معناها »[6] ويمثل لهذا النوع ما ذكرهُ الرازي[7] في تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ [8]، فقد نزلها الرازي – رحمه الله –على ما ينطبق في مجتمعه قائلاً: «وَلَعَمْرِي مَنْ تَأَمَّلَ أَحْوَالَ أَهْلِ النَّامُوسِ وَالتَّزْوِيرِ فِي زَمَانِنَا وَجَدَ هَذِهِ الْآيَاتِ كَأَنَّهَا مَا أُنْزِلَتْ إِلَّا فِي شَأْنِهِمْ وَفِي شَرْحِ أَحْوَالِهِمْ، فَتَرَى الْوَاحِدَ مِنْهُمْ يَدَّعِي أَنَّهُ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى الدُّنْيَا وَلَا يَتَعَلَّقُ خَاطِرُهُ بِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ وَأَنَّهُ فِي الطَّهَارَةِ وَالْعِصْمَةِ مِثْلُ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ حَتَّى إِذَا آلَ الْأَمْرُ إِلَى الرَّغِيفِ الْوَاحِدِ تَرَاهُ يَتَهَالَكُ عَلَيْهِ

(١) سورة غافر: الآية ٤٣.
(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ١٣/ ٤٣.
(٣) تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين: ٧٦.
(٤) سورة يس: الآية ٩.
(٥) الجامع لأحكام القرآن: ١٠/ ٢٧٠.
(٦) تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين: ٧٧.
(٧) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الطبرستاني الأصل الرازي المولود في الري سنة ٦٠٦هـ وتوفي في هراة سنة ١٢١٠هـ (ينظر وفيات الأعيان وأنباء الزمان: ٤/ ٢٤٨؛ ينظر الاعلام: ٦/ ٣١٣)
(٨) ـ سورة التوبة: الآية ٣٤.

وَيَتَحَمَّلُ نِهَايَةَ الذُّلِّ وَالدَّنَاءَةِ فِي تَحْصِيلِهِ»[1]

فنحن نلاحظ أن الآية قد اشتملت على أكثر من تفصيل وهو كالآتي:

- اكل أموال الناس بالباطل
- والصد عن سبيل الله عز وجل
- وكنز الذهب والفضة
- وعدم الانفاق في سبيل الله عز وجل،

لكن الرازي – رحمه الله – حصرها في وجه واحد وهو اكل أموال الناس بالباطل، فهذا تنزيلٌ جزئي ؛ لأنها لم تشمل كل الأنواع المذكوره أعلاه.

ج – تنزيل على ما يخالف معنى الآية:

ويستخدمه المفسر إذا وجد في واقعه أحوالاً حث القرآن على خلافها أو العكس ويسمى تنزيل عكسي [2] كما في قولهِ تعالى: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥ ﴾ [3] فقد قال ابو حيان في تفسير هذه الآية « هَذَا الزَّمَانِ الْعَجِيبِ الَّذِي ظَهَرَ فِيهِ نَاسٌ يَتَسَمَّوْنَ بِالْمَشَايِخِ يَلْبَسُونَ ثِيَابَ شُهْرَةٍ عِنْدَ الْعَامَّةِ بِالصَّلَاحِ ويتركون الاكتساب ويتركون لَهُمْ أَذْكَارًا لَمْ تَرِدْ فِي الشَّرِيعَةِ يَجْهَرُونَ بِهَا فِي الْمَسَاجِدِ وَيَجْمَعُونَ لَهُمْ خُدَّامًا يَجْلِبُونَ النَّاسَ إِلَيْهِمْ لِاسْتِخْدَامِهِمْ وَنَثْرِ أَمْوَالِهِمْ وَيُذِيعُونَ عَنْهُمْ كَرَامَاتٍ وَيَرَوْنَ لَهُمْ مَنَامَاتٍ يُدَوِّنُونَهَا فِي أَسْفَارٍ وَيَحُضُّونَ عَلَى تَرْكِ الْعِلْمِ وَالِاشْتِغَالِ بِالسُّنَّةِ وَيَرَوْنَ الْوُصُولَ إِلَى اللَّهِ بِأُمُورٍ يُقَرِّرُونَهَا مِنْ خَلَوَاتٍ وَأَذْكَارٍ لَمْ يَأْتِ بِهَا كِتَابٌ مُنَزَّلٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ «[4]

ويمكن أيضا التمثيل لهذا النوع ما يحدث في واقعنا والامثلة كثيرة منها قولهِ تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢ ﴾[5] خرفة المساجد المبالغ فيها، نعم أمرنا الله ببناء المساجد وعمرانها، لكن بدون المبالغة في هذا الأمر.

وكذلك ما ذكره القرطبي في تفسيره:« وَلَمَّا هَدَمَ الْوَلِيدُ كَنِيسَةَ دِمَشْقَ كَتَبَ إِلَيْهِ مَلِكُ الرُّومِ: إِنَّكَ هَدَمْتَ الْكَنِيسَةَ الَّتِي رَأَى أَبُوكَ تَرْكَهَا، فَإِنْ كُنْتَ مُصِيبًا فَقَدْ أَخْطَأَ أَبُوكَ، وَإِنْ كَانَ أَبُوكَ مُصِيبًا فَقَدْ أَخْطَأْتَ أَنْتَ، فَأَجَابَهُ الْوَلِيدُ» وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ. فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا»[6]

المبحث الثالث: ضوابط في مسألة الاستشهاد.

لا يوجد موضوع في علم التفسير لم يضع له المفسرين والعلماء ضوابط تحدده فيمكن اجمال هذه الضوابط:

١- يحسن ذكر مدلول الآية المطابق، وهو أنها نازلة في الكفار، وأنه يستفاد منها أن من أتصف بهذه الصفة من المسلمين، فأنه يلحق بحكم الكافر، ولكن كل بحسبه، فهذا كافر كفر محضا، وهذا مسلم عاص

(١) مفاتيح الغيب:١٦/ ٣٤.
(٢) تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين: ٨٧.
(٣) سورة الأعراف: الآية ٥٥.
(٤) البحر المحيط في التفسير: ٥/ ٦٩.
(٥) سورة الحج: الآية ٣٢.
(٦) الجامع لأحكام القرآن:١١/٣٠٨.

ووافق الكفار بهذه الصفة

٢ – إن من سلك هذا الطريق، فإنه لا يصح أن يقصر الآية على ما فسر به قياساً أن يقصر الآية على ما فسر به قياساً، ولو فعل، لكان فعله تحكما بلا دليل، كما هو أهل البدع، والتحكم لا يعجز عنه احد

٣– يلزم أن يكون بين معنى الآية الظاهر وبين ما ذكره من الاستشهاد أو التفسير قياسا ارتباط ظاهر، وإلا كان الاستشهاد بالآية أو حملها على التفسير القياسي الخطأ [١].

❖ ولا بد من التنبيه على أمور في قضية التنزيل:

١ – الأصل الذي يرجع إليه هذا التفسير هو « العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»[٢] وأشار الى هذه القاعدة عددا من الباحثين.

٢– بعد مقتل سيدنا عثمان بن عفان (ﷺ)، وما تبعته من بدع الفرق والتيارات الفكرية والعقدية فالصراع الفكري والعقدي يجعل ذلك الجيل يخوض في تنزيل الآيات على الفرق المنحرفة الذين يواجهونها؛ من أجل توعية الناس على خطورتهم، وبيان انحرف منهجهم عن الطريق الصحيح [٣]، ومثال ذلك ما أشار اليه الطبري عند تفسيره لقولهِ تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[٤] فقد نقل (عن أبي أمامه: «فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم»، قال: هم الخوارج) [٥].

٣– لما جاء العصر العباسي وخرجت فيه تفاسير الرأي والمعقول، إذ أصبحت قضية التنزيل الآيات على الواقع تأخذ مجراها بشكل واسع، تدفعها الظروف السياسية واجتماعية التي تتغير في كل حين[٦]

٤– من أهم قضايا التنزيل التي تناولها المفسرون ونبهوا عليها عند تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾[٧]، فقد ذكر الشنقيطي[٨]: «اعلم أنه يجب على كل مسلم في هذا الزمان أن يتدبر آية «الروم» هذه تدبرا كثيرا، ويبين ما دلت عليه لكل من استطاع بيانه له من الناس.

وإيضاح ذلك أن من أعظم فتن آخر الزمان التي ابتلى الله بها ضعاف العقول من المسلمين شدة إتقان الإفرنج لأعمال الحياة الدنيا، ومهارتهم فيها على كثرتها، واختلاف أنواعها مع عجز المسلمين عن ذلك، فظنوا أن من قدر على تلك الأعمال أنه على

(١) مقالات في علوم القرآن: ٢٧٥–٢٧٦.
(٢) العجاب في بيان الأسباب: ١/ ١٧٤.
(٣) ينظر تنزيل الآيات على الواقع واهميتها في تكوين المفسر: ١٠–١١.
(٤) سورة ال عمران: الآية ١٠٦.
(٥) جامع البيان في تأويل القرآن:٧/ ٩٤.
(٦) ينظر تنزيل الآيات على الواقع واهميتها في تكوين المفسر: ١٠–١١.
(٧) سورة الروم: الآية ٣.
(٨) محمد الآمين بن مختار بن عبد القادر الجنكي الشنقيطي مفسر مدرس من علماء شنقيط « موريتانيا» ولد سنة ١٩٠٧ م وتوفي بمكة سنة ١٩٧٣م م (ينظر الاعلام: ٦/ ٤٥–٤٦).

الحق، وأن من عجز عنها متخلف وليس على الحق، وهذا جهل فاحش، وغلط فادح «[1]

المبحث الرابع: التفسير بالمثل والفرق بينهما

الطريقة العامة للسلف في التفسير، تنحصر في ست طرق يمكن اجمالها:

١- التفسير بالمطابق

٢- التفسير باللازم

٣- التفسير بجزء المعنى

٤- التفسير بالمثل

٥- التفسير بالقياس والاعتبار

٦- التفسير بالإشارة[2]

والذي يهمني في بحثي هذا هو «التفسير بالمثل «.

وقبل البدء لا بد من تعريف المثل لغةً واصطلاحا

المثل لغة هو: الميم، والثاء، واللام أصل يدل على المناظرة الشيء بالشيء، وهذا مثل هذا، أي نظيره والمثل والمثال في معنى واحد [3]، وبشكل ابسط هو « النظير « [4].

أما اصطلاحا: هو إبراز المعنى في صورة رائعة موجزة لها وقعها في النفس، سواء كانت تشبيهاً او قولا مرسلاً « [5].

وقبل البدء لابد من التوضيح الفرق بين المثل والحكمة والمثل والقصة القرآنية:

أولا: الفرق بين المثل والحكمة:

فعلى الرغم من وجود أشياء مشتركة بين المصطلحين هي:

١-إيجاز اللفظ.

٢- إصابة المعنى

٣- حسن التشبه.

٤- وجود الكناية.

❖ لكن توجد أمور تفرق بينهما هي:

١-أن الحكمة عامة في الأقوال والأفعال والمثل خاص بالأقوال.

٢-أن المثل وقع فيه التشبيه والحكمة قد يقع فيها التشبيه وقد لا يقع فإذا وقع فيها التشبيه اجتمعت مع المثل وإلا اختلفت عنه.

٣- أن المقصود من المثل الاحتجاج ومن الحكمة التنبيه والإعلام والوعظ ولا يبعد أن يقال بعد ذلك إن المثل هو من الحكمة فهي تعمه وتعم غيره ومن هنا قرر الإمام أبو هلال العسكري صاحب كتاب جمهرة الأمثال أن كل حكمة سائرة تسمى مثلاً[6]).

ثانيا: الفرق بين المثل والقصة.

إن بين الأمثال والقصص فارقاً كبيرا، وإن كان

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٦/ ١٦٦.

(٢) ينظر فصول في أصول التفسير: ٨٠.

(٣) ينظر معجم مقايس اللغة: ٥/ ٢٩٦.

(٤) مجمل اللغة: ١/ ٨٢٣.

(٥) الواضح في علوم القرآن: ١٩٧.

(6) -ينظر:
http//:www.diwanalarab.com/spip.php?article40685

يجمعهما قدرا مشتركا منتبه الذهن إلى أخذ العبرة وقياس الحال على الحال [١].

وهذا الفارق هو: أَن الأمثال لا يشترط في صحتها أن تكون واقعة تاريخية ثابته، وإنما يشترط فقط أمكان وقوعها، حتى يتسنى للذهن تصورها كما لو أنها وقعت فعلا [٢].

أنواع المثل القرآني

وتقسم الى ثلاثة أنواع هي:

١- الأمثال المصرحة:

«وهي ما صرح فيها بلفظ المثل، أو ما يدل على التشبيه»[٣] وهي كثيرة ويمثل لهذا النوع بقوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [٤].

٢- الأمثال الكامنة:

«وهي الأمثال التي لم يصرح فيها بلفظ التمثيل ولكنها تدل على معان رائعة في إيجاز» ويمثل لهذا النوع: ما في معنى خير الأمور اوسطها[٥]

أ- في البقرة: ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [٦]

ب- في الانفاق ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [٧]

ج- في الصلاة: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [٨]

د- في الانفاق: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [٩]

وكذلك المعنى الذي تقوله العرب لا يجتمع ليثان في غابة، وما يقوله الخاصة كثرة الايدي في الصلاح فساد، وعند عامة من كثرة الملاحين غرقت السفينة [١٠] فهذا المعنى موجود في قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [١١]

٣- الأمثال المرسلة:

وهي جمل أرسلت إرسالاً من غير تصريح بلفظ التشبيه فهي جرت مجرى الأمثال [١٢] ويمثل لهذا النوع:

١- ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ

(١) ينظر الواضح في علوم القرآن: ٢٢.
(٢) ينظر: المصدر نفسه
(٣) - مباحث في علوم القرآن: ٢٩٣.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٧-١٩.
(٥) مباحث في علوم القرآن: ٢٩٥.
(٦) سورة البقرة: الآية٦٨.
(٧) سورة الفرقان: الآية ٦٧
(٨) سورة الاسراء: ١١٠.
(٩) سورة الاسراء: ٢٩.
(١٠) الامثال في القرآن الكريم: ٢٠٤.
(١١) سورة الأنبياء: الآية ٢٢.
(١٢) مباحث في علوم القرآن: ٢٩٦.

حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ (١)

٢- ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾﴾ (٢).

❖ أما الغرض من ضرب الأمثال في القرآن الكريم هو:

١- لتقريب صورة الممثل له إلى ذهن المخاطب عن طريق التمثيل

٢- الاقناع بفكرة من الأفكار

٣- الترغيب بالتزين، أو التحسين، أو التنفير بكشف جوانب القبح

٤- إيثار محور الطمع، والرغبة، أو محور الخوف، والحذر لدى المخاطب

٥- المدح أو الذم، أو التعظيم او التحقير

٦- لشحذ ذهن المخاطب، وتحريك طاقه الفكرية، أو استرخاء ذكائه، لتوجيه عنايته، حتى يتأمل، ويتفكر ويصل إلى ادراك المراد عن طريق الفكر

٧- تقديم أفكار غزيرة بعبارة قصيرة

٨- إيثار تغطية المقصود من العبارة بالمثل تأدباً باللفظ واستحياءاً (٣).

❖ فيمكن ملاحظه الفرق بين الموضوعين، فالتفسير بالقياس يتطلب أمورا معينة يمكن أجمالها:

أولا- سلامة المقصد في تنزيل الآية، والتجرد من المذهبية والتعصب.

ثانيا- العلم وقوة التأصيل الشرعي، فقد يوجد من الناس من ينزل بعض الآيات على واقعه في غير موضعها جهلا أو ضعفا في تكوينه الشرعي.

ثالثاً- العلم بأسباب النزول ؛ لأنها تعين على فهم الآية على الوجه الصحيح ومن ثم التنزيل الصحيح.

رابعا- إذا كان سياق الآية في واقعة الآخرة فلا يجوز تنزيله على واقع الدنيا فهنا تأتي أهمية مراعاة السياق وهو من أهم أصول التفسير.

خامسا- أن يكون معتبرا بالواقع المعاصر عالما باحوال الناس وهذا لا يعني أخضاع النص للواقع أولي أعناق النص حتى يتناسب مع الواقع المعاصر.

سادسا- إن يكون التنزيل مندرجا تحت اصل الآية. والفهم الصحيح للآية يشترط أمرين أساسين:

١- فهم الصحابة (رضي الله عنهم)

٢- معرفة لسان العرب، ففهم الصحابة بمثابة سور يحجز من الافراط في التأويل، والانحراف في التنزيل، إذ أن معرفة لسان العرب وحدها لا تكفي في صحة الفهم (٤).

(١) سورة يوسف: الآية ٥١.

(٢) سورة هود: ٨١.

(٣) ينظر أمثال القرآن الكريم وصور من ادبه الرفيع: ٦١-١١٠.

(٤) ينظر تنزيل الآيات على الواقع واهميته في تكوين المفسر: ١٦-١٧

الخاتمة

الحمد الله على الذي وفقني لإكمال هذا البحث، وأسأله تعالى المزيد من فضله وتوفيقه، وبعد:

ففي ختام هذا البحث أعرض أبرز النتائج التي توصلتُ اليها من خلال النقاط الآتية:

١- قضية تنزيل الآيات على الواقع لم تكن معروفة في عصر الرسول (ﷺ)، وإنما استجدت بعد ذلك، أما الاستشهاد كان معروف بين الصحابة.

٢- هناك فرق بين القياس الاصولي، والقياس، والقياس عند المفسرين، فالأول لا بد من ان تتوفر فيه الاركان الاربعة المقيس، والمقيس عليه، والحكم، والعلة وهذا لا يتوفر في المصطلح الثاني.

٣- هناك تشابه بين تنزيل الآيات وبين المثل القرآني، لكن يوجد فرق بين الاثنين إذ يتطلب من الأول معرفة سبب نزول الآية ظروفها أما في المثل القرآني لا نحتاج الى ذلك إذ نطلق الامثال بدون الحاجة لذلك كما في قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (١)

٤- هذا النوع يدرج ضمن انواع التفاسير التي لها دور كبير في معالجة القضايا والمشكلات المعاصرة.

٥- المفسرون متفاوتون في هذا اللون والسبب يعود في ذلك منهج الذي تمسكه به المفسر، او الظروف السياسية التي تمنعه من ذلك.

٦- هذا النوع يحتاج الى بحث وعناية في كثير من جوانبه.

٧- أما تنزيل الآيات في غير موضعها وخصوصاً عند المزاح بين شبابنا فهذا غير جائز طبعا، أما اذا كان تنزيل الآية للوعظ والارشاد مثل الحث على الانصات الى القرآن، او التكثير من عمل الخير فحكمه جائز.

(١) سورة الروم: الآية ٤١.

المصادر والمراجع
بعد القرآن الكريم

١ـ أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي، المحقق عصام بن عبد المحسن الحميدان، الدمام، دار الإصلاح، ط٢، ١٤١٢ هـ-١٩٩٢م.

٢ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، بيروت - لبنان، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع،١٤١٥ هـ-١٩٩٥م.

٣ـ الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط٥، ٢٠٠٢م

٤ـ الامثال في القرآن الكريم، د. محمد جابر الفياض، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط٢، ١٩٩٥.

٥-أمثال القرآن الكريم وصور من ادبه الرفيع، عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، دمشق، دار القلم، ط٢، ١٤١٢ه-١٩٩٢.

٦-البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المحقق صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، د.ط، ١٤٢٠ هـ.

٧ـ البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، دار الفكر، ١٤٠٧ هـ-١٩٨٦م.

٨ـ البرهان في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين، المحقق صلاح بن محمد بن عويضة، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨ هـ-١٩٩٧م

٩-التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق محمد حامد الفقي، بيروت - لبنان، دار المعرفة: ٧٩.

١٠ـ التفسير الاشاري ماهية وضوابطه، الدكتور مشعان سعود عبد العيساوي، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

١١ـ تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط،١٩٩٠ م.

١٢ـ تفسير القرآن العظيم (لابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ط١، ١٤١١٩ هـ.

١٣ـ التفسير اللغوي للقرآن الكريم، د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزية، ط١٤٢٢،١ هـ-٢٠٠٢م.

١٤ـ تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، ط١، ١٣٦٥ هـ-١٩٤٦م.

١٥ـ تنزيل الآيات على الواقع وأهميته في تكوين المفسر، فارس جهاد حنيفا، ١٤٣٤ه - ١٤٣٥هـ.

١٦ـ تنزيل الآيات على واقع عند المفسرين دراسة وتطبيق، عبد العزيز بن عبد الرحمن الضامر، سلسلة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٢٨ هـ-٢٠٠٧م.

١٧ـ جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١٤٢٠،١ هـ-٢٠٠٠م.

١٨ـ الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، المحقق أحمد البردوني - وإبراهيم اطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٦٤م.

١٩ـ الدرر المنثور بالتفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، المحقق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية الإسلامية، ط١، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣م.

٢٠ـ العجاب في بيان الأسباب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، المحقق

عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي، د.ط.

٢١ـ فصول في أصول التفسير، لمساعد بن سليمان الطيار، الرياض، دار النشر الدولي، ١٤١٣ه-١٩٩٣م.

٢٢ـ فقه القضايا الطبية المعاصرة، د. علي محيي الدين القرده داغي – و د. علي يوسف المحمدي، دار البشائر الإسلامية، ط٢، ١٤٢٧ هـ-٢٠٠٦ م.

٢٣ـ في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، بيروت-القاهرة، دار الشروق، ط١٧، ١٤١٢ هـ.

٢٤ـ مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، مكتبة المعارف، ط٣، ١٤٢١م-٢٠٠٠م.

٢٥ـ مجمل اللغة، احمد بن فارس، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦ هـ-١٩٨٦م.

٢٦-مجموعة الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيميه الحراني، المحقق عبد الرحمن بن محمد القاسم، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٢٧ـ المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٢٨ـ معجم مقايس اللغة، احمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، المحقق عبد السلام محمد بن هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ه – ١٩٧٩م.

٢٩ـ معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة، دمشق، مكتبة المثنى – بيروت (مكتبة المثنى)، بيروت (دار إحياء التراث العربي)، د،ط.

٣٠ـ مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، بيروت، دار احياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٣١ـ مقالات في علوم القرآن واصول التفسير، د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار محدث، ط١، ١٤٢٥ هـ: ٢٧٠.

٣٢ـ الواضح في علوم القرآن، د. مصطفى ديب البغا – ومحي الدين مستو، دار الكلم الطيب – دار العلوم الإنسانية، ط٢، ١٤١٨ ه – ١٩٩٨م.

٣٣ -وفيات الأعيان وأنباء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، المحقق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط١، ١٩٩٤م

مواقع الانترنت:

http://www.diwanalarab.com/spip.php?article40685.